الإمام الخميني ومسألة الحرية

أ. أحمد واعظي

تبرز دراسة الحضارة الغربية المعاصرة بعض النتائج الواقعية والتي مفادها أن هذه الحضارة رغم وجود نقاط ضعف ونقص أساسية فيها، وبصرف النظر عن بعض نتائجها وتبعاتها المرّة، فإن فيها ظواهر جديدة متعددة وفي مجالات مختلفة. ففي بطن هذه الحضارة هناك توجهات وقضايا لم تكن مطروحة من قبل في التاريخ البشري، وتعدّ من خصوصيات الحداثة والحضارة الغربية المعاصرة.

إنها نوع رؤية إلى العلم وأهدافه وغاياته وأساليبه، وإعادة النظر في المنزلة العلمية للإنسان، وجر الفلسفة والعقل المحض إلى النقد، والدعوى الإستحسان العقلي والعلم البشري، والإستغناء عن الوحي، ووضع أسس الحكومة الحديثة، وإشاعة الديمقراطية والحكومة القائمة على المشاركة الشعبية، طرح مسألة الحرية في أبعادها المختلفة السياسية والثقافية والإقتصادية. تلك هي أهم خصوصيات ظهور ا لحضارة المعاصرة

من وجهة النظر الدينية وبناءاً على التركيز على التعاليم الإسلامية فإن النتائج التي قدمتها الحضارة الغربية للإنسان المعاصر في عدة مجالات مرفوضة وقابلة للانتقاد. إن دراسة أبعاد هذا الصراع، وتحليل الموقف بشكل تفصيلي يعد محور بحث شيق وبحاجة لدراسة أخرى لسنا في مقام تناوله هنا. بل سنسعى في هذه المقالة أن نقوم بتقييم إجمالي ومحدود لبعض جوانب تفسير المدنية المعاصرة للحرية من جهة ورأي التعاليم الدينية بها، ثم نقوم بمحاكمتهما. وللقيام بذلك سنركز بشكل خاص على رأي ورؤية عالم الإسلام القدير والمجاهد الذي مزج العرفان والبرهان والقرآن والفقاهة والسياسة. الإمام العظيم الذي كان ملتزماً بالأصول والمبادئ والقيم الإسلامية إلى درجة مدهشة، وفي نفس الوقت كان يمتلك في ساحة العمل والرأي إدراكاً واقعياً ومنصفاً للظروف العالمية وواقعيات المدنية المعاصرة. وإذا كان رفض أو انتقد بعض وجوهها، فلم يكن ذلك عن تعصب، بل عن بعد نظر ووضوح رؤية[1].

---

١) كنموذج على ذلك إنه يقول في مجال الحضارة المعاصرة: «الإسلام يجيز جميع معطيات التجدد والحضارة عدا تلك التي تجر فساداً أخلاقياً». صحيفة النور، ج٤، ص ٨٥. ويقول «إن الأنبياء يقبلون بجميع مظاهر الحضارة لكن المقيدة، لا المطلقة واالمتسيبة» صحيفة النور، ج٨، ص ٦٢.

إن منزلة الإمام الراحل كقائدة للثورة وبانٍ لحكومة حديثة تقتضي أن يخوض صراعاً فكرياً وتجاذباً أشد مع وجوه الحضارة المعاصرة. وكان عليه كقائد لثورة ومؤسس لنظام أن يعلن عن موقف صريح تجاه مقولات مثل: الجمهورية، الديموقراطية، الحرية. وقد دلّ تاريخ الثورة وتقارب الإسلامية مع الجمهورية، ورفع مستوى دور الناس ومشاركتهم في الحكم، على مدى التصوّر الواضح لديه عن إمكانية قيام حكومة دينية تتناسب مع الظروف البشرية الحديثة ثقافياً وسياسياً واجتماعياً[١].

وقد أولى مسألة العلاقة بين الدين والحرية إهتماماً جدياً، وقد أعلن رأيه حولها عدّة مرات.

وقبل البدء ببحث أكثر تفصيلاً لابد لنا في هذا المجال أن نشير إلى أبعاد وجوانب البحوث المختلفة التي قد تطرح في باب الحرية، ليتضح محور هذا البحث، ومكانه بين مباحث الحرية.

المجالات المختلفة للبحث في الحرية:

إنّ التفسير الجديد للحرية، وخاصةً في طريقة التفكير الليبرالية فجرت مباحث ونزاعات عديدة، يمكن تقسيمها إلى عدة مجموعات هي:

أ- البحث في مفهوم الحرية: الحرية مفهوم مطاط ولا حد له، ويحتمل تفاسير كثيرة. وعلى كل نحلة فكرية أن تحدد تفسيرها الذي تعتمده للحرية، ونفيها وإثباتها لأي مفهوم للحرية موجه.

المقالة المعروفة لـ (آيزايا برلين) تحت عنوان (مفاهيم للحرية) التي كتبها عام ١٩٥٧م كان لها الأثر الكبير في رفع حدة النقاش حول مفهوم الحرية، وحوّله إلى بحث محوري حولها.

ب- هل الحرية حق أم قيمة هل الحرية حق من الحقوق الطبيعية والفطرية للبشر، أم أنها قيمة.؟ ومعنى أن تكون الحرية قيمة هو الإنسان يجد نتائج إيجابية لكونه حراً، مما يتطلب منه أن يدافع عنها، ويعطي لكل إنسان حريته.

أما معنى أن تكون الحرية حقاً فهو أن حرية البشر هي واقع لابد من تمكين الإنسان منه، ولا يمكن سلبها منه إلا لسبب ودليل، ولا يحتاج اعطاؤها للإنسان إلى سبب ودليل. وأن الحرية حق منحه الله أو الطبيعة للإنسان.

والنظرة للحرية بوصفها قيمة، تراها بمثابة أسلوب، كأسلوب أثبت فائدته وفعاليته، وفي نظر الإنسان المعاصر هي أسلوب مفيد يستخدم في مجال السياسة والثقافة والإقتصاد.

ج- الحرية مطلقة أم مقيدة: هل الحرية المطلقة هي المطلوبة، أم لا بد أن تكون مقيدة في بعض جهاتها؟ وهل يحق للقوانين الوضعية أن تحدد بعض جوانب الحريات، وتضيق مساحتها؟

---

١) حيث يقول: «إن الحكومة الإسلامية ليست رجعية، وهي تتفق مع جميع مظاهر الحضارة، إلا تلك التي تضر بإستقرار الشعب وتتعارض مع الأخلاق العامة» (نفس المصدر، ج٤، ص ١٩٢)

د- قيمة الحرية المطلقة: الفكر الليبرالي يرى أن الحرية هي قيمة مطلقة، أي أننا إذا اعتبرنا أن الحرية حق، فهي فوق كل الحقوق. وإذا اعتبرناها قيمة، فهي أسمى من كل القيم. ومعنى أنها مطلقة أنه لا يمكن تحديد الحرية وتضييقها تحت أي ظرف ولصالح أي قيمة أخرى. بل لا تحدها أية قيمة سوى الحرية نفسها. فإذا كانت حرية شخص ما تخلّ بحرية شخص آخر عند ذلك يمكن الحد من حرية الشخص الأول. لهذا فإن المدافعين عن فكرة أن الحرية قيمة مطلقة يرون أنه لا يمكن إلغاء بعض الحريات أو الحد منها لمصلحة العدالة أو الدين أو لأنها تهدد الأخلاق الفردية والقيم الدينية.

هـ- مصادرالحدّ من الحرية: لا يؤيد فكرة الحرية المطلقة إلا قليلون، على خلاف اعتبارها قيمة مطلقة. فكل حكومة تضطر إلى الحدّ من بعض الحريات الفردية والتضييق عليها في المجتمع من خلال التدابير والقوانين العامة. والسؤال الأساس في هذا المحور هو: ما هي المصادر للحدّ من الحرية؟ وما هي المعايير التي يمكن اتباعها للحد من الحرية الفردية في المجالات الإقتصادية والسياسية والثقافية المختلفة؟ وهل تعد الأخلاق والدين والتقاليد القومية معايير لتحديد الحرية؟

و- كيفية التوفيق بين المحافظة على قوة الحكومة من جهة ودفاعها عن الحريات من جهة أخرى: من المباحث الهامة والأساسية للفكر السياسي في القرون الأخيرة كيفية التوفيق بين ضرورتين هما: ضرورة حفظ هيبة الحكومة واقتدارها في المجتمع، وضرورة قيام تلك الحكومة المقتدرة بالحد من بعض الحريات الفردية من خلال سنّ القوانين واتخاذ القرارات.

كيف يمكن أن تكون الحكومة مقتدرة، وتكون في نفس الوقت حامية للحريات الفردية؟

هذه المعضلة هي محور أساسي في تدوين الحقوق الأساسية لدى كثير من الأنظمة الحكومية والسياسية. فكل نظام سياسي يواجه هذه المشكلة بشكل ما، ويضع لها أسلوب حل خاص به.

ز- الأسس النظرية للحرية: لقد أشرنا في المحور الأول أن هناك عدة تفاسير للحرية، ويعتمد كل تفسير على نظرية خاصة. وتنقيح هذه الأسس وتبيين العلوم الإنسانية والمعرفة والفلسفة الأخلاقية، والإحاطة بها يعد من البحوث السيقة والضرورية، لما له من علاقة بالحرية.

البحوث السبعة التي ذكرناها هي بحوث عامة تستدعي طرحها للنقاش النظرة الشاملة للحرية، أما بالنسبة لعالم الدين فهناك جو آخر من البحث أمامه وهو معرفة النسبة والربط بين الفهم السائد الشائع للحرية في الفكر الغربي المعاصر وبين الإسلام وتعاليمه. فعالم الدين يمكنه الدخول إلى هذه المجالات من خلال اعتماده على القيم والتعاليم الدينية، واتخاذ الموقف المناسب، والحكم من باب ميزان انطباق النظرات المختلفة مع الإسلام، والدفاع في بعض الأحيان عن منطقية عدم انسجام بعض التعاليم الدينية مع الفهم السائد والشائع للحرية. أي على العالم الديني أن يكون قادراً على الدفاع عن فلسفة بعض أحكام الشريعة التي لا تتلائم مع بعض الحريات المتداولة والمقبولة.

هذه تعد من البحوث الخاصة للحرية. ولا بد هنا من الإعتراف أن البحث في المجالات المختلفة

للحرية ونسبتها إلى الدين في المجتمع هو بحث غير مكتمل، ولم يتصدَّ بجدية لهذه الأبحاث والدراسات، لا المفكرون ولا علماء الدين. وقد أبدى الإمام الخميني(قده) رأيه في بعض هذه المجالات، لكن رأيه ذاك كان يغلب عليه طابع اتخاذ المواقف العامة والفصل بين الخطوط ورسمها، ولم يكن بحثاً أكاديمياً أو وردّاً وإثباتات فلسفية وعلمية كتلك المتبعة في الدراسات النظرية والفكرية.

وقد ركّز الإمام الخميني في مجموعة خطاباته على محورين من المحاور السبعة للحرية أكثر من غيرهما، والأول هو بحث مفهوم الحرية والفهم الإسلامي لها وتعارضه مع الفهم الغربي السائد. والثاني بحث لزوم تقييد الحرية في إطار الإسلام وقوانينه. أي أنه يرى أن الحرية ليست قيمة مطلقة، بل يجب أن تكون محدودة بالقيم والقوانين الإسلامية[1].

بالنظر لما مرّ آنفاً فإن مجال بحثنا في هذه المقالة سيكون محدوداً، لنوجهه نحو التفاسير الموجودة للحرية ورأي الإمام الخاص في باب ماهية الحرية، ونترك البحث في سائر الجوانب الأخرى إلى مجال أوسع آخر.

تفاسير الحرية:

هناك تعاريف كثيرة للحرية، يمكن دمجها وتقسيمها إلى ثلاثة تفاسير وطرق فهم، أي أنه رغم الإختلاف في التعابير وتنوع الألفاظ لأي تعريف لا بد لأي منها أن ينضوي تحت أحد عناوين ثلاثة وهي:

أ- الحرية السلبية.

ب- الحرية الإيجابية.

ج- الحرية الإيجابية بحدها الأقصى.

الحرية السلبية (Negative Freedom): تعني سقوط الحواجز وإزعام الإنسان على ممارسة عملٍ ما ، لهذا يسمى هذا الفهم للحرية بـ (التحرير من) (Freedom from) وبناءاً على هذا التفسير فإن الفرد الذي لا يتعرض إلى ضغط وإكراه من قبل فرد أو أفراد أو جماعة أو حكومة في أدائه لأعماله بشكل إرادي واختياري فهو حر، أي حرّ (من)الإكراه.

إن الحرية السلبية تلعب دوراً محورياً في الفردية الليبرالية الأوروبية. فالليبراليون يدافعون دوماً عن هذا التفسير للحرية، ويقولون أن أي إنسان يجب أن يختار بنفسه طريقة تصرفاته، دون أن يكون مكرهاً من قبل شخص أو سلطة على تصرف معين. فالليبراليون يعتبرون أن الحرية تعني الخلاص من أي ضغوطات خارجية موجهة من قبل أفراد آخرين ولعل أفضل كتاب يستعرض

---

١) حيث يقول: «يجب أن نعلم جميعاً أن الحرية بشكلها الغربي الذي يؤدي إلى ضياع الشبان والفتيات واليافعين مرفوضة في نظر الإسلام والعقل». صحيفة النور، ج٢١، ص ١٩٥. وقال: «إننا نريد الحرية في ظل الإسلام، نريد الإستقلال في ظل الإسلام، فاساس البحث هو الإسلام». صحيفة النور، ج٦، ص ٢٥٩.

بوضوح هذا المفهوم للحرية الفردية الليبرالية هو كتاب (على باب الحرية (On Liberty) لجون سيتوارات ميل باللغة الإنكليزية[١].

واستناداً إلى هذا الفهم الكلاسيكي للحرية فإن أي نوع من الإكراه يعد أمراً سيئاً ذاتاً لأنه يقف في وجه الآمال البشرية. حتى لو كان هذا الإكراه يهدف إلى منع الأفراد من ارتكاب شرٍّ أكبر. وأن عدم التدخل -الذي يقابل الإكراه- يعد حسناً ذاتاً، وإن كان بمفرده أمراً سيئاً[٢].

إن امتزاج الليبرالية مع هذا الفهم للحرية بلغ حداً جعل بعض الليبراليين المعاصرين مثل فردريك هايك (Hayek) يعتبر زن إعادة النظر الذي حصل في الربع الأخير من القرن التاسع عشر هي التي أدت إلى سقوط الليبرالية الإنجليزية وزوالها من يعتقد بالحرية التجديدية أي (الحرية الإيجابية) ليس ليبرالياً[٣].

والحرية الإيجابية ((Positive) والحرية لأجل Freedom to تعني أن مجرد عدم وجود ضغوط خارجية لا يؤمن حرية البشر، فقد أكون في حالة وظروف لا أتعرض فيها إلى أي ضغوط خارجية من قبل الآخرين لكن لا أكون حراً.

قال هربرت صموئيل: (من كان أسيراً في سجن الفقر وانعدام الأمن فهو لا يعيش الحرية الحقيقية، فالحرية الحقيقية تكون في تحرره من هذه القيود أيضاً)[٤].

ويرى المعتقدون بالحرية الإيجابية أن مجرد ممارسة الضغوط من قبل شخص أو أشخاص لتحريرِ إنسان، ليس بالأمر الكافي، بل لا بد من توفّر العلل والأسباب الطبيعية أيضاً ليكون الإنسان حراً.

فأتباع الليبرالية الكلاسيكية وأتباع الحرية السلبية يركّزون على دور الإجبار والإكراه لدى الإنسان في سلب الحرية، ويغفلون عن دور العلل والأسباب الطبيعية التي تكون أحياناً مانعاً لتحقيق الحرية.

هناك ثلاثة شروط حتى يصل الإنسان إلى مطلوبه وغايته وهي:

- عدم وجود إكراه وضغوط خارجية
- عدم وجود علل وموانع طبيعية تحول دون الوصول إلى المطلوب.
- وجود الأسباب والقدرات التي تعين الشخص ليصل إلى هدفه.

في أواخر القرن التاسع عشر برزت في أذهان وأفكار بعض الليبراليين فكرة تقول: إن الحرية الإقتصادية بمفهومها الكلاسيكي (أي أن كل إنسان حر بالقيام بأعماله الإقتصادية دون أي حدود وضغط من غيره). ستنتهي بإيجاد شكل جديد من الفقر واللاعدالة، وإن الحرية الإقتصادية للبعض ستؤدي إلى سلب وفرص الحياة من كثير من الأفراد، مما يؤدي عملياً إلى سلب حريتهم. لذا إذا أردنا أن يكون الجميع أحراراً (أي الحرية الإيجابية) يجب أن يحصل الجميع على إمكانية فرص ووسائل الوصول إلى غايتهم، وهذا يستدعي منع بعض النشاطات الإقتصادية والحد من حرية البعض (أي الحرية السلبية).

---

1) 3,P222 ،٣Encyclopedia of Philosophy, Paul Edwards, Vol.

٢) الليبرالية ومنتقدوها لمايكل ساندل، ترجمة أحمد تدين، ص ٣٤.

3).Modern Political Idiologies, Andrew Vincent, P37.

4)· Ibid, P40.

وكان غرين (T.H. Green) عام ١٨٨٠م يدعو إلى هذا الفكر، الأمر الذي ساهم في ظهور تحول في الفكر الليبرالي، ومهد الطريق لزوال الليبرالية الكلاسيكية. هذا النوع من الفهم للحرية لفت أنظار الإشتراكيين الديمقراطيين في القرن العشرين[١].

وكما هو معلوم فإن (الحرية الإيجابية بالحد الأدنى) تهتم بالوسائل والأدوات، ويعتبر دعاتها أن عدم وجود إكراه ليس كافياً، وأن الحرية هي قدرة إيجابية للقيام بالأمور أو الإلتذاذ، هي قدرة تحصل عند توفر الوسائل والأسباب وعند زوال الموانع (من موانع طبيعية وإكراه وفرض من قبل الأشخاص والفئات).

هذا الفهم للحرية يهتم بالحاجات والقدرات والظروف الإجتماعية، ويطالب بتوفير الظروف والإمكانات الإجتماعية للجميع ليتمكنوا من بلوغ أهدافهم، وإذا لم يتحقق ذلك فليس هناك حرية، حتى لو لم يكن هناك من قِبل الأخرين[٢].

إن الحرية الإيجابية بحدها الأدنى لا تصدر أحكاماً حول غايات الأفراد وأهدافهم، بل تترك ذلك غامضاً وتطالب بتوفير الظروف ليبلغ الأفراد غاياتهم، دون أن تعطي رأيها في نوع تلك الغايات وتعيينها وتحديدها.

أما (الحرية الإيجابية بحدّها الأقصى) فإنها تتقدم عن سابقتها خطوة، فتحدد الغايات الخاصة، وتعتبر أن حرية البشر منوطة بتوفير الأسباب والظروف لبلوغ تلك الغايات الخاصة.

الحرية الإيجابية بحدّها الأقصى تتفق مع الحرية الإيجابية بحدها الأدنى في أن حرية البشر لا تتحقق بمجرد عدم تعرضها للإكراه والضغوط الخارجية والجدّ من الحرية، بل يريان ضرورة توفير الأسباب والعلل والظروف، ورفع سائر الموانع أيضاً، لتصح تسمية الإنسان حراً. أما الاختلاف الوحيد بين تلكما النظرتين إلى الحرية فهو موجود في أن نظرة الحد الأقصى تطرح غايات مثل: تحقيق الذات((Self Realization) و تكامل النفس. ويعددون أموراً اعتبروها عنواناً لكمال النفس البشرية، واعتبروا أن الحرية تتحقق عند إعداد الأرضية المناسبة لبلوغ تلك الأمور.

أما الحرية الإيجابية بحدّها الأقصى فإنها تقوم على أساس معرفة خاصة بالإنسان، تعتبر أن الذات الإنسانية أوسع نطاقاً من الغريزة والشهوات، يقول (آيزايا برلين): (إذا فسّرنا الحرية على أنها سيادة الإنسان على نفسه وأن لا يكون عبداً لغيره، عندئذٍ يطرح بحث مهم وهو أي إنسان هذا؟ فهيغلٌ وأفلاطون وأنصارهما اعتبروا أن هناك النفس الطبيعية وأدنى من ذلك والنفس المعنوية وأسمى منها، وذكروا عبودية الطبيعة. فقد يكون الإنسان غير متعرض لأي ضغط وإكراه خارجي، لكن في نفس الوقت يكون عبداً للطبيعة وللأنا السفلية. فرغم أن مفهوم الحرية السلبية لم يمس، لكن الحرية الإيجابية لم تتحقق. وبعبارة أخرى فإن تحرير النفس يصاحبه دوماً عبودية لنفسنا الأخرى. فإذا كانت النفس الطبيعية حرة غير ملجومة كانت النفس العقلائية والمعنوية مقيدة)[٣].

1) p.41- 43.and Modern Political Idiologies ,Political Idiologies, Andrew Heywood. P4

2) .Modern Political thought, Raymond Plant, P.249.

٣) آيزايا برلين، أربع مقالات حول الحرية،ترجمة محمد علي موحد، ص ٢٥١.

الإمام الخميني ومفهوم الحرية:

لقد رفض الإمام الخميني الليبرالية الغربية أي الحرية بمعناها الأول، وذلك من خلال كلماته المتعددة. فهو يرى أن التحرر من القيود وترك الإنسان لحاله ليس أمراً مطلوباً في كل الأحيان، بل لا بد من الحد من الحريات الفردية في بعض الحالات للوصول إلى صلاح المجتمع ورشده:

«إن الحرية الغربية هي شيء من الفحشاء يقومون بها كما يحلو لهم، أحرار في شهواتهم من كل قيد وحد، أحرار يفعلون ما يحلو لهم، انغمسوا في الفحشاء»(١).

«علينا أن نعلم جميعاً أن الحرية بشكلها الغربي تؤدي إلى ضياع الشبان والفتيات واليافعين، وهي مرفوضة من قبل الإسلام والعقل، وإن الإعلام والمقالات والخطب والكتب والمجلات المخالفة للإسلام وللعفة العامة ولمصالح البلد كذلك هي حرام»(٢).

«يقال إن المطبوعات حرة، والتعبير حر. لكن ذلك لا يعني أن الناس أحرار في أن يفعلوا ما يحلو لهم، مثلاً أحرار أن يسرقوا، أن يتوجهوا نحو البغاء، أحرار أن يفتحوا بيوت البغاء. هذه الحرية هي الحرية الغربية -باستثناء السرقة- تلك هي الحرية الغربية في أن يفعل كل إنسان ما يحلو له، حتى لو كان فعله ذاك غير لائق، مثل تلك الحرية لا يمكن أن تكون في إيران»(٣).

كما يلاحظ أنه يرفض بصراحة الحرية الليبرالية أو الحرية السلبية بشكل كامل، ويميل نحو الحرية الإيجابية بحدها الأقصى. فسماحة الإمام يرى أن الحدود التي وضعتها الشريعة الإسلامية وقوانينها لا تخل بالحرية، بل تجعل الإنسان أكثر حرية، وهذا التحليل لا يتناسب إلا مع قبول مفهوم الحرية بحدها الأقصى.

«إن مقدار الحرية التي منحها الله تبارك وتعالى للناس أكبر من الحريات التي أقرّها الآخرون. فأولئك أعطوا حريات غير منطقية، أما الحريات التي منحها الله فهي حريات منطقية. فكل ما أعطاه أولئك فليس حرية، فلا بد أن تكون الحرية منطقية وخاضعة للقوانين»(٤).

إنه يرى أن الحرية الحقيقية تجد معناها في إطار التعاليم الإسلامية، فرغم أن الحرية قيمة ونعمة إلهية، لكنها ليست أسمى من سائر القيم، فالإسلام وقيمه وتعاليمه هي أسمى من أي شيء، ولا بد من رسم حدود الحرية في إطار الإسلام وقوانينه.

«إننا نريد الحرية في كنف الإسلام، نريد الإستقلال في كنف الإسلام، فالإسلام هو أساس ما نريد»(٥).

فاستنتاج الحد الأقصى لمفهوم الحرية الإيجابية في فكر الإمام ينبع من التعاليم الإسلامية. والآيات القرآنية والروايات تدعّم هذا الفهم للحرية، نشير هنا إلى بعضها:

---

١) صحيفة النور، ج٨، ص ١٢٣.
٢) صحيفة النور، ج٢١، ص ١٩٥، من وصيته السياسية الإلهية.
٣) صحيفة النور، ج٧، ص ١٨-١٩.
٤) صحيفة النور، ج٧، ص ٢٠٢.
٥) صحيفة النور، ج٦، ص ٢٥٩.

فالقرآن الكريم يعتبر أن دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى التوحيد ورفض الشرك والترغيب بالعبودية تعمل على تحرير الإنسان، أي أنّ العقائد الباطلة والآداب غير الإسلامية تجعل الإنسان أسيراً وعبداً حتى لو كانت موافقة لميوله ورغباته وشهواته. قال تعالى: (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم)[١].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحريم بعض الأفعال يعد تضييقاً على حرية الإنسان في نظرة الليبرالية للحرية. لكن بما أنه يؤدي إلى كمال الإنسان وسمو نفسه الواقعية فإنه يعد عين الخلاص وبناء الإنسان في نظرة الحرية الإيجابية بحدّها الأقصى. والآية القرآنية الكريمة تدل على هذا المضمون فتسمي ذلك خلاصاً من الإصر والأغلال.

الروايات الإسلامية أشارت إلى الحرية الإيجابية أيضاً، حيث اعتبرت أن بعض الحدود المفروضة، والسير في خط العبودية لله، والسيطرة على الغرائز والشهوات عنواناً للسير نحو حرية الإنسان.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «من ترك الشهوات كان حرّاً»[٢].

وقال أيضاً: «من زهد في الدنيا أعتق نفسه وأرضى ربّه»[٣].

وقال كذلك: «من قام بشرائط الحرية أُهِلّ العتق»[٤].

إنّ ما قمنا ببحثه في هذه المقالة حول العلاقة بين الدين والحرية كان بحثاً في مفهوم الحرية فقط، ونأمل أن يتصدى أهل التحقيق لسائر الأبعاد والجوانب المختلفة لهذا البحث، لنشهد في المستقبل القريب دراسات مفيدة في هذا المجال.

---

١) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.
٢) غرر الحكم للآمدي من.
٣) غرر الحكم للآمدي من.
٤) غرر الحكم للآمدي من.